الميثاقية من الشفهية إلى النص المكتوب

0

[المحامي آلان رنو](http://www.annahar.com/author/8157-%D8%A7%D9%84%D9%85%D8%AD%D8%A7%D9%85%D9%8A-%D8%A2%D9%84%D8%A7%D9%86-%D8%B1%D9%86%D9%88)

12 أيلول 2016

لم تختلق الميثاقية لا الطائفيًّة السياسية ولا الديموقراطية التوافقيًّة، بل أكَّدت نظريَّة شكيب أفندي وزير الخارجية العثماني إبان نظام القائمقاميتين، والتي بموجبها تمثَّلت للمرة الأولى من تاريخ لبنان الطوائف بنسبة حجمها في مقاعد ما كان يسمَّى المجلس (أي الوزراء حالياً) بحيث شكَّل هذا الأمر منذ ذاك الحين المحور الأساسي الذي تمحورت حوله كل السياسة اللبنانية ماضياً و حاضراً ومستقبلاً ولأجل غير مسمَّى.  
فلم يأتِ ميثاق 1943، التي قبلت به الأكثرية المسيحية القابضة على غالبية مقاليد الحكم، لمصلحة الأقلية المسلمة التي ألحت على إيجاد ضمانات طائفية لمشاركتهم في الدولة ، بأي جديد سوى بتوزيع للرئاسات الثلاث، وبإشراك للمذهبين السني والشيعي في المعادلة التوافقية.  
فالنظام والميثاق بالرغم من شفافيتهما حكما الحياة السياسية والدستوريَّة منذ عهد القائمقاميتين ولغاية تاريخه محدثين ما سمي العرف السياسي الذي ساد فترة ما قبل الطائف حتى أصبح وللمرة الأولى نصاً مكتوباً في ميثاق الطائف 1989 وفي دستورنا الحالي.  
تجلى هذا الأمر في أكثر من نص أهمه ما جاء في الفقرة "ي" من مقدمة الدستور "لا شرعيَّة لأي سلطة تناقض ميثاق العيش المشترك" و في حسم عروبة لبنان و مسألة الكيان (وطناً سيداً و نهائياً) وفي تعديل المادة 95 حيث إختيار الطائفية المتساوية والموقتة، مرتكزاً للعبور إلى إلغاء الطائفية السياسية و في النصوص المتعلقة بالعدالة الاجتماعية و تعزيز الولاء للدولة والأنماء المتوازن إلخ...  
كلها تعتبر ترجمة خطية لميثاق 1943 المؤكد لنظام القائمقاميتين.  
فالعيش المشترك، وهو جوهر كل ميثاق و دستور و ميزان ميزة الحياة السياسية في لبنان معه تنتظم الحياة العامة في البلد و دونه تبطل السلطات مايضفي على نظامنا تسمية نظام فيديرالية الطوائف، حيث يقتضي معه أن تتفق الطائفة الكبرى (الأكثرية) مع الصغرى (الأقلية) في القرارات المهمة للبلد، وإلا فالثلث المعطل السلاح الأمضى في يد الأقلية الذي كرسته لها روحية دستورنا الحالي.  
فبين فكرة شكيب أفندي ودعم بريطانيا للدستوريين الذي عجّل في ولادة الميثاق الوطني يبقى لبنان و منذ نشأته أعجز من أن يقرّر مصيره في أموره الهامة بنفسه ما عدا ما ترك له من هامش تحرك في كثير من أموره الحياتية الأساسية اليومية التي يعجز ساسته ولأسباب آنية وضيقة عن معالجتها.

**استاذ جامعي**